مطرانية الروم الأرثوذكس في بيروت

Orthodox Archdiocese of Beirut

الرسالة

(عبرانيين ٤: ١٤–١٦؛ ٥: ١–٦)

يا إخوةُ، اذ لنا رئيسُ كهنةٍ عظيمٌ قدِ اجتازَ السمواتِ، يسوعُ ابنُ اللهِ، فَلنَتَمَسَّكْ بالإعترافِ* لأن ليسَ لنا رئيسُ كهنةٍ غيرَ قادرٍ ان يرثيَ لأَوهانِنا بل مُجرَّبٌ في كلِّ شيءٍ مثلَنا ما خلا الخطيئةَ* فلنُقبِلْ اذًا بثقةٍ إلى عرشِ النعمةِ لننالَ رحمةً ونَجِدَ ثقةً للإغاثةِ في أَوانِها* فإنَّ كُلَّ رئيسِ كهنةٍ مُتَّخَذٌ منَ الناسِ يُقامُ لأَجلِ الناسِ فيما هو للّهِ ليُقرِّبَ تقادِمَ وذبائحَ عن الخطايا في إمكانه ان يُشفِقَ على الذين يجهلونَ ويَضِلّون لكونهِ هو أيضًا متلبِّسًا بالضُّعفِ* ولهذا يجبُ عليه أن يقرِّبَ عن الخطايا لأجلِ نفسِه كما يقرِّبُ لأجلِ الشعبِ* وليسَ أحدٌ يأخُذُ لنفسِهِ الكرامةَ بل مَن دعاهُ اللّهُ كما دَعا هرونَ* كذلكَ المسيحُ لم يُمجِّدْ نفسَهُ ليصيرَ رئيسَ كهنةٍ بَل الذي قالَ لهُ أنتَ ابني وأنا اليومَ ولدتُكَ. كما يقولُ في موضعٍ آخرَ أنتَ كاهنٌ إلى الأبدِ على رتبةِ مَلكيصادَق.

الصليب في زمن الصوم

محطّة الكنيسة الثالثة في مسيرة الصوم الكبير هي الصليب. والصليب ليس حاضراً في حياة الكنيسة والإيقاع الليتورجيّ الذي ارتضته، يوم عيد رفعه وحسب (١٤ أيلول)، بل في كلّ يوم أربعاء وجمعة على مدار السنة. فحياة الإنسان المسيحيّ في دورتها الأسبوعيّة لا تستقيم ما لم يستحوذ الصليب على فكره وقلبه.

لذا، نعيّد أسبوعياً للصليب مرّتين، فيما كلّ التذكارات الأسبوعيّة الأخرى (مثلاً يوم الخميس للقديس نيقولاوس بوصفه نموذج رؤساء الكهنة القديسين أو يوم السبت للراقدين) تقام مرّة واحدة في الأسبوع الواحد. هذه الملاحظة البسيطة، المستمدّة من الدورة الليتورجيّة الأسبوعيّة، من شأنها أن تدلّ على مقام الصليب في وجدان الكنيسة. غير أن عيد الصليب المنتصب في وسط الصوم الكبير انتصاب الصليب «في وسط الأرض»، كما تعبّر بعض أناشيدنا الليتورجيّة، له مذاق خاص.

هذا العيد يرمي، طبعاً، إلى تعزية المؤمنين وتشديدهم في جهاد الصوم الذي يتوّجُهُ الاحتفال بآلام الربّ وقيامته. لكنّ المؤمنين لا يذهبون في الصوم إلى صليب السيّد وقيامته وحسب، بل هم يأتون أيضاً من الصليب إلى الصوم. هذا يعني أنّ الصليب ليس حقيقةً نكتشفها في آخر الصوم عندما نعاين يسوع سائراً في درب آلامه إلى جبل الجلجلة، جبل الصليب، بل هو بالدرجة الأولى حقيقة تعرّف كلّ منّا إليها في معموديته، عندما غُطّس ثلاثاً في الماء و مات مع يسوع على رجاء القيامة، وأصبحت هذه الحقيقة ملهمةً لسلوكه في حياته كلّها. عيد اليوم في منتصف الصوم يذكّرنا بأن علينا أن نصلب ذواتنا عن الخطيئة وأن نبذل الذات من أجل الآخر محبّةً به، كما علّمنا السيّد على الصليب.

العدد ٢٠٠٤/١١
الأحد ١٤ آذار
الأحد الثالث من الصوم
أحد الصليب الكريم
تذكار أبينا البار بنديكتس
اللحن السادس
إنجيل السَحَرْ السادس

الكنيسة «ترفع» الصليب اليوم مبتهجةً به في دورة ارتأى واضعو الليتورجيا أن تُقام في هذا الأحد. ولكنّها لا تقوم بهذا الرفع إلاّ لأنّ الصليب مرفوع أصلاً على جبين الكنيسة، كالتاج على رأس الملوك، ويظلّل حياة المسيحيين. هذا تفصح عنه جليًّا عمارة المعبد الكنسيّ من الداخل. فالصليب، الذي يتوسّده يسوع المعلّق عليه، يرتفع في أعلى مستوى

الإنجيل

(مرقس ٨: ٣٤–٣٨؛ ٩: ١)

قال الربُّ من أراد أن يتبَعَني فليكفُرْ بنفسِهِ ويحمِلْ صليبَهُ ويتبعني لأنَّ مَن أراد أن يخلِّص نفسَهُ يُهلكُها ومَن أهلك نفسَهُ من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصُها* فانَّهُ ماذا ينتفِعُ الانسانُ لو ربحَ العالَمَ كُلَّهُ وخَسِرَ نفسَهُ* أم ماذا يُعطي الانسانُ فِداءً عن نفسهِ* لانَّ مَن يستحي بي وبكلامي في هذا الجيلِ الفاسقِ الخاطئ يستحي بهِ ابنُ البشر متى أتى في مجدِ أبيهِ مع الملائكةِ القديسين* وقال لهم الحقَّ أقول لكم إنَّ قومًا من القائمين ههنا لا يذوقون الموت حتَّى يَرَوْا ملكوتَ اللّهِ قد أتى بقوَّةٍ.

تأمل

ان سيدنا له المجد لأجل محبته لجنسنا وكثرة رأفته علينا يحثنا دائماً على ما فيه صلاحنا ويُنبِّهنا على ما فيه خلاصنا. فيقول لنا تارةً لا تهتمُّوا بالغد وتارةً لا تهتمُّوا بما تأكلون. وتارةً يقول لنا اطلبوا ملكوت الله وبرَّهُ. ويُكرّر هذه الأقوال علينا ويضعها دائماً أمام أبصارنا لنرسمها في قلوبنا ونتلوها في حال قيامنا وقعودنا وأكلنا وشربنا ونومنا ويقظتنا ليحرّك شوقنا إلى السمويَّات ونفورنا من الأرضيَّات من مستويات الأيقونسطاس مخيّماً على المؤمنين الذين اجتمعوا للصلاة. وكثيراً ما نعثر في زوايا هذا الصليب الأربع على أيقونات كتّاب الأناجيل الأربعة، متى ومرقس ولوقا ويوحنا، وكأنّ الكنيسة تذكّر، بذلك، المنتمين إليها بأن لا محتوى فعليّ لإنجيل يسوع المسيح إلا هذا الصليب، إذ الحياة الإلهيّة ذاتها تتدفّق ممّن سكب ذاته عليه حبًّا بالبشر. وإذا كان بناء الكنيسة المادّي يرمز إلى الكنيسة الحيّة غير المصنوعة بأيدي المعماريّين، فإنّ تصدّر الصليب فوق الأيقونسطاس يُستدلّ منه على إدراك الكنيسة أن لا مصدر لوجودها إلاّ المصلوب. هذا معنى قول الإنجيلي يوحنا إنّ دماً وماءً، وهما صورة المعموديّة وسرّ الشكر، سالا من جنب المصلوب لمّا خطر لأحد الجنود الواقفين عند صليب يسوع أن يطعن جنب السيّد بحربة (يو١٩:٣٤).

الالتصاق بين يسوع المصلوب والإنجيل بوصفه خبراً عن صلب يسوع وقيامته، تشدّد عليه أيضاً القراءة الإنجيليّة التي تُتلى اليوم على مسامعنا، وهي مأخوذة من الإصحاح الثامن من إنجيل مرقس. فالسيّد يوحّد ذاته بالإنجيل قائلاً: «من أهلك نفسه من أجلي ومن أجل الإنجيل يخلّصها». وغنيّ عن القول إنّ المقصود بالإنجيل هنا ليس الأناجيل في ذاتها بوصفها نصًّا مكتوباً، بل النبأ السار الذي تحمله هذه الأناجيل، أي أنّ الله بذل نفسه من أجل البشر على الصليب وأنّه يطلب من محبّيه أن يتمثّلوا به ساكبين كلّ واحد ذاته على مذبح الآخر. هذه الحقيقة الكبرى، حقيقة المحبّة التي انكشفت على عود الصليب، تحتّم على المؤمنين أن يعكسوها في حياتهم. والصوم الكبير هو بحق مناسبة المناسبات حتى يتمرسّوا على ذلك. وفي سبيل هذا التمرّس كانت لحظات العبادة الجميلة التي نستلذّ الإقبال عليها في كلّ موسم صياميّ وكانت قواعد الامتناع عن الأطعمة حتى يتدرّب الجسد والنفس معاً على الدعة والاستغناء بالله.

كلّ هذه المعاني والأبعاد التي يحملها الصليب تدلّ على أنّ المسيح غيّر معنى هذا العود الخشبيّ من أداة عار إلى أداة انتصار، من أداة اغتراب عن الله والآخر إلى أداة تصالح معهما. فالصليب كان عقاب مرتكبي الجرائم الكبرى في المجتمع الرومانيّ. والمعروف أن واحداً من الامتيازات التي كان يتمتّع بها الحائزون على المواطنيّة الرومانيّة أنّهم لا يموتون معلّقين على الصليب، أيًّا تكن الجرائم التي اقترفوها. ينتج من هذا أنّ موت الصليب، في زمن يسوع ورسله، كان العار الذي ما بعده عار والتعبير الأعمق عن الانفصال بين الله والبشر، لكونه عقاباً على الخطايا الكبرى تجاه الآلهة والقيصر والمجتمع الروماني ككل. ولقد ارتضى السيّد، رغم أنّ الخطيئة لم تخالطه، أن يموت ميتة المنبوذين الخارجين على القانون، وذلك من فرط طاعته لأبيه. بطاعته الإرادة الإلهية، حوّل يسوع الصليب إلى أداة اتّحاد بالله، صائراً آدم الجديد الذي لا يتمرّد على الله، ومؤسّساً الكنيسة المؤلّفة من كل من يتعمّد على اسمه، أي يتّخذ صليبه قانون حياة ونبراس هداية وضوءاً ينير ظلمة هذا العالم. هذا الحدث الجلل بكافة أبعاده تضعه الكنيسة نصب أعيننا في منتصف زمن الصوم الكبير معلنة استحالة ملاقاة المصلوب في رحلة آلامه الخلاصيّة ما لم يكن الصليب منذ اليوم هو البوصلة التي ترشدنا إلى الفصح. من

ونظرنا إلى نعيم الملكوت. فإذا ارتسمت هذه الأقوال في نفوسنا وأنارت عيون قلوبنا واعتبرنا حظوظنا السعيدة في دار الملكوت وظهر لنا عظم خسارة الاهتمام بالجسديَّات وشقاوة المنعكفين عليها يخفُّ علينا حمل نير ربنا. وإذا كان الفلاَّح الراجي غلَّته يستسهل تعب الحرث والزرع ونفقات الأعمال وتنقية الأرض وملاقاة الثلوج والسيول والرياح العاصفة بالنسبة إلى الفرح الذي سيحصل عليه من تلك الغلَّة الزائلة قريباً، وكذلك البحرية يستخفُّون ملاقاة الأهوال والأمواج واللجج وحرَّ الصيف وبرد الشتاء بالنسبة إلى ما ينالونه من أجرة أتعابهم، وكذلك الجنود يلقون أنفسهم في أخطار الحروب والمعارك ويتعرَّضون لضرب السيوف وطعن الرماح ورمي السهام وحمل أثقال الدروع والخُوَذ بالنسبة إلى تحصيل مرتَّباتهم المعيَّنة لهم، فما بالنا نحن الذين نترجَّى نعيم الملكوت وسعادة الأبد والمملكة السماوية لا نستخف احتمال نير ربنا الذي هو أخف من جميع هذه الأثقال المذكورة. وما بالنا لا نتعب يسيراً في زرع الفانيات لنحصد الباقيات دائماً. وحتى متى لا نطيع ربنا في ترك الأباطيل الدنيويَّة ونتوكَّل عليه في

لم يقف، إذاً، عند صليب يسوع في بدء الصوم، فليقف اليوم، وليجدَّ في أن تمسي عيناه هما إيّاهما عينا يسوع الذي يرنو بطرفه إلى الخليقة من جبل الجلجلة، عسى الصيام يصبح فينا مدخلاً لتغيّر الكون في عينينا، إذا ما نظرنا إليه بعيني المصلوب.

مكائد الشيطان

«لكنَّني أخافُ أنَّه كما خَدعتِ الحيَّةُ حواءَ بِمَكْرِها هكذا تُفسَدُ أذهانكم عن البساطةِ التي في المسيحِ» (٢كو ١١:٣).

ان حياة الإنسان المؤمن الذي يشاء أن يكون مع الله وأن يحيا على الأرض وكأنه في ملكوت الله، هي حياة صراع ضد الشيطان وأجناده وأرواحه الشريرة، وجهاد ضد مكائده. وما موسم الصوم المقدَّس الذي نحن فيه اليوم إلاَّ فترة تأجج هذه الحرب الروحية ضد الشرير.

دأب الشيطان وهاجسه أن يفسد كل واحد منا ويجعلنا عبيداً للخطيئة والإثم. يضربنا بالعمى الروحي ويبعدنا عن كل فكر حسن. عمله الأساسي أن يوزع حيله وألاعيبه كي يجعلنا على غير اتفاق مع إرادة الله. لذا فإن الرب يسوع يُنهي الصلاة الربانية «أبانا الذي في السموات» بـ «لكن نجِّنا من الشرير» (متى ٦:١٣). كما أن صلوات الكنيسة مليئة بالإشارات إلى مخاطر حيل الشيطان، والحثّ على التضرُّع إلى الرب كي ينجّينا من الشرير.

من يقرأ الكتاب المقدَّس يجد دائماً ذكراً للأرواح الشريرة، ويتأكد من وجود الشيطان والحرب الشعواء التي يشنها في كل حين على الذين يحبّون الله. عندما قال الرسل السبعون: «يا ربّ حتى الشياطينُ تخضعُ لنا باسمكَ، قالَ (يسوع) لهم: رأيتُ الشيطانَ ساقطاً مثلَ البرقِ من السماءِ» (لو١٠: ١٧و١٨). كما انه طرد الكثير من الأرواح الشريرة: «... والمعذَّبون من أرواحٍ نجِسة كانوا يبرأون» (لو ٦:١٨؛ راجع مر ٩: ١٤-٢٩).

طرد الأرواح والشياطين كان دلالة أساسية على مسيانية يسوع، وقد منح الرب هذه السلطة لتلاميذه: «ثم دعا تلاميذَهُ الإثني عشرَ وأعطاهم سلطاناً على أرواحٍ نجِسة حتى يُخرجوها... أشفوا مرضى، طهِّروا برصاً، أقيموا موتى، أخرجوا شياطينَ» (متى ١٠: ١و٨). كما انه نبّههم ونبّهنا كي نكون يقظين ومنتبهين إلى حياتنا الروحية لكي لا يوقع بنا الشيطان. فإذا حاول الشيطان أن يجرِّب الرب يسوع (متى ٤)، ألن يحاول الإيقاع بنا؟ «ولا عجب. لأن الشيطانَ نفسهُ يُغيِّر شكله إلى شبهِ ملاكِ نورٍ» (٢كو ١١:١٤).

في تعليمه عن آخر الأيام، أي المنتهى، يوضح الرب أن مَنْ يُسلم نفسه للشر، للشيطان، سوف يمضي إلى «عذاب أبدي»، «إلى النار الأبدية المعدَّة لإبليس وملائكتهِ» (متى ٢٥: ٤١ و٤٦).

تعليم الرسل لم يختلف عن تعليم الرب. الرسول بولس يعلّمنا: «البَسوا سلاحَ اللهِ الكاملَ لكي تقدروا أنْ تثبُتوا ضدَّ مكائدِ إبليسَ. فإنَّ مصارعتنا ليست مع دمٍ ولحمٍ بل مع الرؤساء، مع السلاطين، مع وُلاةِ العالم على ظلمةِ هذا الدهرِ، مع أجنادِ الشَّرِّ الروحيةِ في السماويَّات» (أف٦:١١-١٢). والرسول بطرس يدعونا «أصحوا واسهروا لأن إبليسَ خَصمكُم كأسدٍ زائرٍ يجول ملتمساً من يبتلعهُ هو، فقاوِموه راسخينَ في الإيمان» (١بط ٥: ٨و٩).

تحصيل الخيرات السماويَّة. وإلى متى يُرينا اهتمامه بالمخلوقات الحقيرة التي أوجدها لأجلنا كزهر النبات وطير السماء وصيد البحر وأمثال ذلك لنزدجر عن جهلنا ونحن لا نعتبر. فإن قلتَ أما قال ربنا إن طريق الخلاص عسر والباب المؤدّي إليه ضيق أجبتك انه قال ذلك مخاطباً الكسالى والمتهاملين في طلب الفضيلة لأن هؤلاء لانهماكهم في الأطعمة والأشربة واللذات البدنية يعسر عليهم الصوم والصلاة والتقشف. ولذلك شبّههم بالكلاب والخنازير لاجتهادهم في الأمور الأرضية وتركهم الباقيات السمويَّة. لأن المكثرين من معاشرة النساء وحضور مجالسهنَّ وسماع كلامهنَّ يظنون انه لا يوجد في الرجال عفيفٌ. وكذلك القاطعون النظر عن الباقيات التابعون اللذات البدنية يظنون انه لا يوجد أحدٌ من البشر زاهدٌ كما ينبغي. وإلاَّ فربنا يسمّي الاهتمام بالأرضيَّات أحمالاً ثقيلة ويدعو السماويَّات أحمالاً خفيفة حيث يقول تعالوا إليَّ أيها المُتعبون والثقيلو الأحمال وأنا أُريحكم. فسبيلنا أن نترك الاهتمام بأمور أجسادنا ونحرص على عمل الفضائل المقرِّبة من ربنا وإلهنا يسوع المسيح الذي له المجد إلى الأبد.

القديس يوحنا الذهبي الفم

من يقرأ سيَر القديسين يعي ما قصده الرسولان بولس وبطرس في كلامهما. فكلما تقدَّم الإنسان في الحياة الروحية زادت حدَّة معركته مع الشرير، إذ تصبح تجاربه أكثر شراسة ومكراً. بعض النساك الكبار كالقديس أنطونيوس الكبير ذهبوا إلى الصحراء لمحاربة الشيطان وجهاً لوجه، في عقر داره. خبرات هؤلاء مع الشيطان عنيفة لأنه كان يهاجمهم هناك مباشرة وبكل مكائده. يقول الأخوة الذين كانوا يزورون القديس أنطونيوس مرَّة في الشهر لكي يحملوا إليه زيتاً وزيتوناً وبقولاً، إذ أصبح شيخاً، إنهم كانوا يسمعون ضجيجاً وأصواتاً عالية وضربات مثل جلبة السلاح. وكانوا يرون الجبل مليئاً بالوحوش أثناء الليل، وكانوا يرونه وكأنه يحارب كائنات منظورة، ويصلّي ضدها.

إذاً، صراع الإنسان المؤمن هو ضد الشيطان الذي يحاول الإيقاع به بمختلف الوسائل. التجارب والخطايا كثيرة: الغضب، الكره، الكبرياء، الاحتقار، الثرثرة، النميمة، الحسد، الجشع، الكذب، السرقة، الشتم، السكر، الشراهة، الزنى، الفسق، القتل، التجديف، التآمر، أذية الآخرين، إلخ... يقول الرسول يعقوب في رسالته: «اخضعوا لله، قاوموا إبليس فيهرب منكم. اقتربوا إلى الله فيقترب إليكم» (يع ٤: ٧ و٨). الرب واقف يرى جهادك وتعبك وسيرفع عنك ثقل الحرب في الوقت المناسب. المهم أن تسعى بكل صدق وأن تجاهد ضد الشيطان ومكائده وهو واقف لينقذك. يقول القديس سيرافيم ساروفسكي: «ان تجارب الشيطان هي مِثل نسيج بيت العنكبوت. عليك فقط أن تنفخ عليها لتدمّرها. هكذا مع عدوك الشيطان، عليك أن تسلِّح نفسك بإشارة الصليب وكل حيلة سوف تتلاشى بالكلية». الصلاة والصوم هما سلاحنا ضد الشرير: «هذا الجنس لا يمكن أن يخرج بشيء إلاَّ بالصلاة والصوم» (مر ٩:٢٩). جهادك ونعمة الله يخرجانك من الحرب منتصراً.

أخيراً، فيما نحن في بحر الصوم، القديس إسحق السرياني يشدِّدنا بقوله: «ليس سلاح أقوى من الصوم يعطي شجاعة للقلب في معركته ضد الأرواح الشريرة. لأنه أثناء الصوم يكون العقل مستعداً أن يحتمل أشد الضربات وأسوأ الحوادث المفاجئة دون أن يهتز».

كاتدرائية القديس جاورجيوس

بعد انتهاء أعمال الترميم في كاتدرائية القديس جاورجيوس في ساحة النجمة تفتح الكاتدرائية أبوابها أمام المؤمنين للمشاركة في كافة الصلوات اليومية والقداديس أيام الآحاد.

أما مواعيد الصلوات خلال الصوم الكبير فكالتالي:

+ أيام الإثنين إلى الخميس الساعة ٥:٣٠ مساءً: صلاة النوم الكبرى.

+ الجمعة الساعة ٦:٠٠ مساءً: خدمة مديح العذراء.

+ السبت الساعة ٦:٠٠ مساءً: صلاة الغروب.

+ الأحد الساعة ٨:٣٠: السَحَرْ ثم القداس الإلهي الساعة ٩:٣٠ صباحاً.

بالامكان الإطلاع على النشرة أسبوعيًا على صفحة الإنترنت:

www.quartos.org.lb